التحصينات الرومانية بالجنوب الشرقي الجزائري في مسح "باراديز" الجوي « منطقة الزيبان جنوبي الأوراس »

د. سمية شهبي♦

مقدمة:

دام الاحتلال الروماني لأقطار المغرب من سنة ١٤٩ ق م إلى سنة ٤٣٩ م . ومنذ بداية الاحتلال ، واجهت روما مقاومة شديدة وعدة ثورات . لذلك لم يتمكن الرومان من بسط سيطرتهم على كامل التراب المغربي .

قسم الرومان المغرب إلى خمس ولايات هي : ١- ليبيا ، وعاصمتها طرابلس .
٢- افريقيا ، وعاصمتها قرطاجة ٣- نوميديا ، وعاصمتها سيرتا
٤- موريتانيا الشرقية ، وعاصمتها شرشال ٥- موريتانيا الغربية ، وعاصمتها طنجة

كانت نوميديا تعتبر ترابًا عسكريا ، نظرا لكثرة الثورات والتمردات فيها ، وكان يديرها مندوب مفوض ، وهو في الوقت نفسه على رأس الكتيبة الثالثة العسكرية .

يعتبر الجيش الثالث هو أشهر الجيوش الرومانية ، كان مركزه في بداية الأمر «حيدرة» ، شمال شرقي تبسة ، ثم تبسة ، ليتحول بعد ذلك لمبيس ، حيث يسيطر على العبور بين التل والأوراس والصحراء .

ظلت السياسة الرومانية تخضع لاعتبارات عسكرية واقتصادية في آن واحد ، ومن ثم كانت الرقابة شديدة على تنقلات القبائل وحركات القوافل ، ولأجل ذلك قامت بوضع عوازل عسكرية صارمة بين المناطق الخاضعة لها ، والمناطق الخارجة عن نفوذها .

ولتموين روما وجيشها بالإنتاج الزراعي والحيواني ، عمل الرومان على حفر الآبار ، وشق قنوات الري، وانتزاع الأراضي الخصبة . كما أقام الرومان القناطر والطرقات، واستخدموها في التجارة والأغراض العسكرية .

تقديم عمل « باراديز »

عاش « جان لوسيان باراديز Jean Lucien BARADEZ » بين ١٨٩٥ و١٩٦٩، كان برتبة عقيد في سلاح الطيران الفرنسي، وهو يعتبر رائد علم الآثار الجوي في أواسط القرن العشرين للميلاد .

انتدب "باراديز" عام ١٩٤٦ في مديرية الآثار القديمة الجزائرية، كمكلف بمهمة، أثناء الاحتلال الفرنسي، ثم أصبح مسؤولا عنها. قام "باراديز" خلال ذلك، بمسح جوي لمواقع الآثار القديمة، وقاد حفريات معمقة في تيبازا. إلا أن أهم أعماله ضمنها في كتابه الذي يحمل عنوان: « خندق إفريقية ، أبحاث جوية في تنظيمات حدود الصحراء أثناء العهد الروماني» «Fossatum Africae , Recherches aerienne sur l’organisation des

♦ جامعة الدكتور يحي فارس – المدية – الجزائر.

«confins sahariens à l'époque romaine» الصادر في باريس والجزائر عام ١٩٤٩، في ٣٧٧ صفحة، وحتويا على ٢٧٥ صورة، وخريطتين مطويتين.
قدم للكتاب "لويس ليشي Louis LESCHI"، مسؤول مصلحة الآثار القديم في الجزائر. كما نشر الكتاب أيضا بعنوان: «نظرة جوية على التنظيمات الرومانية في جنوب الجزائر- خندق إفريقيا» «Vue aerienne de l'organisation romaine dans le sud algérien – fossatum africae».
درس " باراديز" التنظيمات الدفاعية الرومانية لمناطق احتلالهم وتوسعهم الاقتصادي والعمراني في شمال الصحراء ، وحدّد المواقع الأثارية وجغرافيتها اعتمادا على الدراسات السابقة كأبحاث "ستيفان جزال" St. Gsell، في كتابه : الأطلس الجزائر الأثاري [١] Atlas archelogique d'Algérie، وما اكتشفه هو من خلال الطيران والمسح الجوي .
وضمّن" باراديز" كتابه هذا نتائجه وما توصل إليه من أبحاث ودراسة وتنقيب وآراء واستنتاج ، ومعطيات متعددة ومختلفة ، حول التنظيمات الدفاعية الرومانية ، ومواقعها ، وآثارها بشمال الصحراء الجزائرية .
وجاء الكتاب محددا بدقة المواقع الأثرية للتنظيمات الدفاعية الرومانية ، من خلال صور جوية ، لبقايا التحصينات، وخرائط طبوغرافية وجغرافية لمنطقة المسح .
أشتمل الكتاب على خمسة أقسام، هي كما يلي: ١- أبحاث جوية حديثة على «ليمس» إفريقيا.
٢- خندق إفريقيا. ٣- أشغال المياه، الاستعمار، ومنطقة الليمس الفلاحية.
٤- قصبات، محطات، وحصون مكتشفة أو صوب اكتشافها بدقة من خلال الأبحاث الجوية.
٥- شبكة الطرقات.

موقع منطقة الزيبان

[١] - ستيفان غزال (Stéphane Gsell) : ولد في باريس عام ١٨٦٤ ، تحصل على التبريز في التاريخ عام ١٨٨٦ ، والدكتوراه في الآثار عام ١٨٩٤ . تم تعيينه عام ١٨٩٠ في كلية الآداب بالجزائر . كتب الكثير من المقالات حول الكتابات والمباني الأثرية التي اكتشفها ، كما ألف عن استغلال الآثار في ناحية قسنطينة . وترك حوليات . ولكن أهم عمل قام به هو إصداره عام ١٩٠١ للكتابين الكبيرين حول آثار الجزائر القديمة . وبين عامي ١٩٠٢ و١٩١١ أخرج كتاب أطلس الجزائر الأثري . وفي ١٩٢٢ نشر الجزء الأول من كتاب الكتابات اللاتينية في الجزائر . ومن ١٩١٣ إلى غاية وفاته عام ١٩٣٢ ، اعتكف على كتابة تاريخ شمال إفريقيا القديم ، وجعله في ثمانية مجلدات . أنظر :
- Stéphane Gsell , Atlas archéologique de l'Algérie , agence Nationale d'Archéologique, 2 Edition , Alger 1997 , T $_{1}$, préface

تقع منطقة الزيبان [٢] في الجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر، على السفوح الجنوبية لجبال الأوراس[٣] المرتفعة والتي تتخللها أودية عميقة، ومن بينها وادي القنطرة الذي يفتح ممرا يصل بين التلال العليا والصحراء [٤].

تتكون تضاريس المنطقة من عناصر متباينة، حيث تتمركز الجبال في الشمال محتلة مساحة هامة، وتمتد السهول على محور من الشرق إلى الغرب، مغطية المنخفضات في الجهات الجنوبية والشرقية من أراضي المنطقة، تجري فيها الأودية من بينها وادي جدي، وتتميز بتربة رسوبية عميقة وخصبة، وتمثل في سهول لوطاية شمالا، وسيدى عقبة وزريبة الوادي شرقا، وطولقة والدوسن وأولاد جلال وسيدى خالد وليوة في الناحية الغربية والجنوبية.

بالإضافة إلى الأهمية الزراعية، تعتبر الزيبان منطقة تجارية، نظرا لاحتلالها موقع تتقاطع فيه طرق العبور بين الشمال والجنوب، وبين الشمال الغربي والجنوب الشرقي، فهي بذلك بوابة للصحراء الشرقية.

أما المدن والقرى القديمة في المنطقة فأهمها: مدينة بسكرة [٥] قاعدة الزيبان في الوسط. والقنطرة[٦] ، لوطاية، جمورة، البرانيس، مشونش، شتمة [٧] في الشمال. وسيدي عقبة، عين الناقة، زريبة الوادي[٨]،بادس[٩]، خنقة سيدي ناجي[١٠] في الشرق. والحوش، أوماش، مليلي[١١] ، بنطيوس[١٢] ، اورلال[١٣] ، ليوة [١٤] في الجنوب. وبوشقرون[١٥] ، ليشانه[١٦] ، طولقة[١٧] ، الدوسن[١٨] ، أولاد جلال[١٩] ، سيدي خالد في الغرب.

---

[٢]- الحسن بن محمد الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٥ ، ص ٥٠٩

[٣]- الوزان ، نفسه ، ص ٣٧٥

[٤]- شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية (تعريب محمد مزالي – البشير بن سلامة) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٦٩ ، ص ٢٤-٢٥ .

- الوزان ، المرجع السابق ، ص ٥٠٩.

[5] - Stéphane Gsell , Op.cit , feuille 48 / N 9 .

[6] - Gsell , Ibid , feuille 37 / N 6 .

[7] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 13 .

[8] - Gsell , Ibid, feuille 49 / N 70 .

[9] - Gsell , Ibid , feuille 49 / N 51 .

[10] - Gsell , Ibid , feuille 49 / N 56 .

[11] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 37 .

[12] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 40 .

[13] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 39 .

[14] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 44 .

[15] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 24 .

[16] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 25 .

[17] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 27 .

- الوزان ، المرجع السابق ، ص٥١١ .

[18] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 73 .

[19] - Gsell , Ibid , feuille 48 / N 80 .

وحدّد إسماعيل العربي منطقة الزاب بما يلي : «والزاب عبارة عن ثلاث مناطق متميزة ولكنها متصة: الزاب الظهراوي وهي المنطقة التي تقع فيها طولقة وليشانة وبوشقرون وفوغالة ، وكلها تعتمد على النخيل وتنتج أجود أنواع التمور ، وتروى أراضيها آبار ارتوانية ، ومنطقة الزاب الغربي ، ومن أهم قراها : ليوه والصحيرة والمخادمة وبنطيوس وأوماش ، وهي أيضا تعتمد على زراعة النخيل وتسقى بمياه الآبار الارتوانية ، ومنطقة الزاب الشرقي ، وأهم قراه ، سيدي عقبة ، حيث يوجد مسجد فاتح المغرب العظيم وقبره، والدروع ، وسيدي خليل ، وهذه المنطقة تروي بمياه الأنهار التي تنحدر من جبال أوراس .»[٢٠]

وادي القنطرة :

تقع القنطرة على بعد ٥٥ كلم شمالي مدينة بسكرة ، وتكمن الأهمية الجغرافية لوادي القنطرة في كونه طريقا يعبر منخنق جبلي يصل بين تيمقاد ولمبيس (تزولت) شمالا ، وبسكرة جنوبا . ومن هنا تأتي الأهمية الدفاعية لهذا المنخنق ، فهو يراقب حركات التنقل ، ويتحكم في العبور ، ويمنع زحف أو هجوم القبائل المتجهة من الجهة الغربية لبسكرة نحو الشمال .

اشتمل وادي القنطرة على حصون وأبراج دفاعية عديدة ، بّينتها بقايا الجدران وكتابة (أنظر لوحة رقم ٠١) ، بالإضافة إلى المسالك القديمة [٢١] (أنظر شكل رقم ٠١)

[٢٠]- اسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٣ ، ص ١٤٣ .

[21] - Jean Baradez : Vue aerienne de l'organisation romaine dans le sud algérien – fossatum africae , Arts et Métiers graphiques , Paris 1949, pp . 13-21

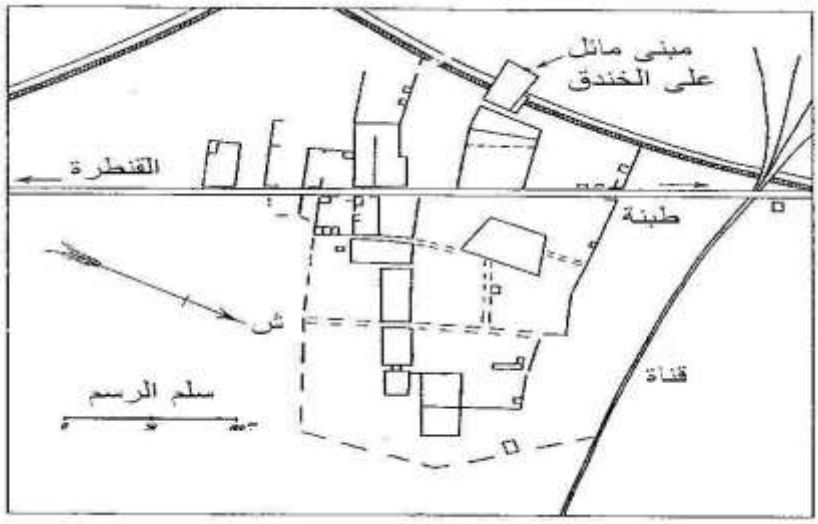

شكل رقم (٠١) تجمع سكاني يقطعه الطريق بين لوطاية وطوبنة ، ويظهر في شماله الخندق على شكل زاوية ويتقاطع مع قناة (ص ٨٣)

ويظهر بوضوح الخندق الدفاعي الموازي لوادي القنطرة ، والأبراج التي ترافقه . يصل عدد تلك الأبراج إلى ثمانية ، تفصل بينها مسافة ١،٢٠ كلم . ويمكن للبرج الواحد أن يراقب مسافة ٥ كلم ، وهو ذو شكل مربع ، ومبني بالحجارة .
أما الخندق فيرافق وادي قنطرة غربا إلى أن يصل وادي لوطاية (Mesarfelta) جنوبا ، وهو مجزّأ، يقترب من الوادي أحيانا ويبتعد عنه أحيانا أخرى ، متماشيا مع طبوغرافية الأرض والجبال والتواء المنخنق. وكل ذلك أبرزته الصور الجوية [٢٢] (أنظر لوحة رقم ٠٢)

«ساقية بنت الخراص» وناحية جيميلاي :

ساقية بنت الخراص[٢٣] هي عبارة عن خندق دفاعي ، اكتشفه الملازم الأول "دينوكس Dinaux" و"ستيفان جزال Stéphane Gsell" ، و"جوليان جاي Julien Guey" الذي كلفه مدير الآثار الجزائرية "لويس ليشي Louis Leschi" (أثناء الاحتلال الفرنسي للجزائر) بدراسة الآثار في ناحيته عام ١٩٣٨ م.
واكتشف "جوليان جاي Julien Guey" خمس حصون صغيرة (Castella) بارزة في جبهة مسافتها ١٢ كلم ، وتقع على خط موازي للساقية ، من الجهة الشمالية ، وعلى بُعد ٣٠٠ م منها .

[22] - Baradez , Ibid , pp.37-45
[23] - Stéphane Gsell , Op.Cit, feuille 48 / N 69 .

يتراوح عرض الساقية بين ٢ و٣ م ، وكذلك عمقها بين ٢ و٣ م ، وتتجمع فيها مياه الأمطار وتصب فيها الجداول المنحدرة من المرتفعات ، وتسمى محليا أيضا «الداية Daya»

يسير خندق الساقية جنوب «وادي جدي» وموازيًا له ، وهو الذي يحدد طرفي الساقية ، عندما ينقطع الخندق عند دراع الرمل في الجهة الجنوبية الغربية ، وبرج السعادة شرقا ، ليجتاز هذا الوادي العظيم نحو الشمال (أنظر الخريطة رقم ٠٢)

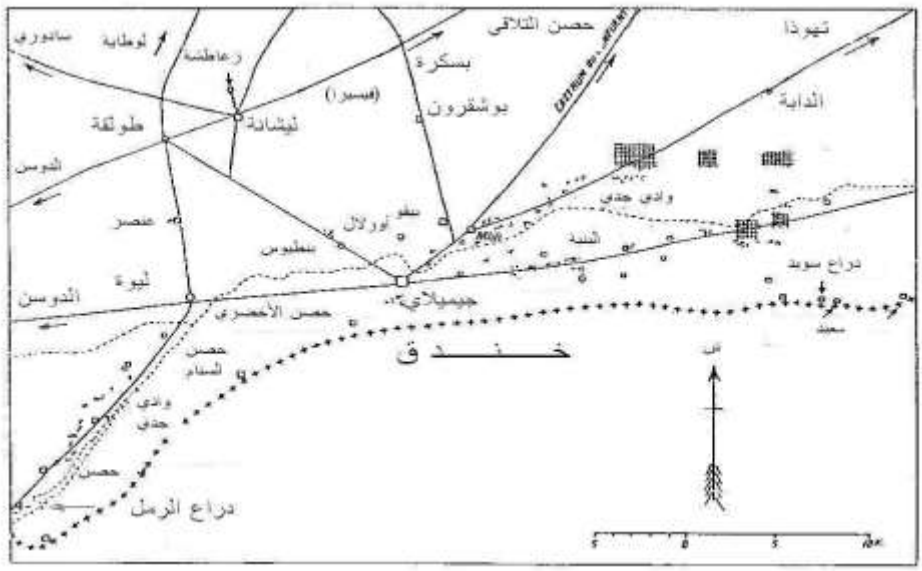

خريطة رقم (٠٢) ساقية بنت خراص ووادي جدي (ص ٩٤)

وتسمح تقطعات خندق الساقية وغيرها من تقطعات الخندق الضيقة ، بمرور القوافل والطرق والقطعان، تحت رقابة دائمة ومتحكم فيها من قبل فرق عسكرية رومانية .

أظهر التحليق فوق الساقية ، والصور الجوية ، الاستنتاج التالي :

١- عكس رأي "كانيات Cagnat" والمتمثل في أن الاستعمار الروماني والاحتلال العسكري استطاع التوسع في القرن الثالث إلى «وادي جدي» . ولكن المؤكد أن المجرى الأدنى لوادي جدي ، لعب دور النيل الأصغر ، وسمح بالزارعة على ضفتيه ، وكان شريان حيوي لمنطقة غنية ، على تُخوم صحراوية . لم يكن وادي جدي يمثل حدود ولا دفاع ، بل كان في حاجة إلى الدفاع عنه .

٢- يستمر خط الحصون ، نحو الغرب ، ويمكن ملاحظة ما يلي :

أ- على مسافة ٣،٥ كلم ، جنوب غربي جيميلاي [٢٤]، ونحو ٧٠٠ م شمال الخندق ، يقوم ضريح سيدي عبد الرحمن الأخضري . وبدون شك يكون قد شيد على أنقاض حصن رومانية ، مربع يبلغ ضلعها ٥٠ م ، وتكون منارة الضريح قد عوضت برج المراقبة الروماني ، والذي كان أكثر ارتفاعا بدون شك . وكذلك البئر الموجودة ذات العمق بين ١٥ و ٢٠ م ، فتعود إلى الحقبة الرومانية .

ب- على بعد ٧ كلم شرقي حصن سيدي عبد الرحمن الأخضري ، يوجد حصن آخر مربع ، وله نفس المقاسات .

جـ - على مسافة ٨ كلم نحو الشرق أيضا يوجد حصن آخر .

د- ومن جديد على مسافة ٨ كلم نحو الشرق كذلك ، توجد الحصون التي اكتشفها "جوليان جاي J.Guey"

هـ - لو اتجهنا ٧ كلم غربي حصن سيدي عبد الرحمن ، لوجدنا أيضا حصن أكبر بمقاسات ٨٠ م في كل ضلع .

ومن هنا نجد خطاً غير منتهي من الحصون العسكرية البارزة ،على طول الخندق الدفاعي والقريبة منه

٣- إلى شمال خط تلك الحصون ، توجد كنيسة مسيحية ، وحصون صغيرة أخرى قريبة من الطريق الموازي للساقية . وهذا الطريق يقطع وادي جدي ، جنوبي « ليوة » وعلى مسافة ٣٥ كلم غربي الكنيسة في اتجاه الدوسن وأولاد جلال . وهو طريق عسكري ، ويمثل شريانا اقتصاديا للمنطقة ، وتنتشر حوله الأطلال وبقايا الخراب ، من جدران بنية بالطين واللبن المشوي ، وحجارة البناء المتناثرة .

ويتبين من ذلك كله ، أن خط الدفاع هذا على تخوم الصحراء (Limes) وتحصيناته ، مع معسكر جيميلاي (Gemellae) ، وثلاثة حصون في الدوسن ، كان انجازها في القرن الثالث [٢٥]

جيميلاي «Gemellae »

لا يوجد معسكر جيميلاي في مكان القصبة ، بالقرب من واحة مليلي ، كما يروج له السكان ، حسب آثار الاحتلال الروماني ، والمنتشرة في كل مكان . وإنما التنقيب الجوي بالطيران بين موقع مدينة جيملاي على بعد ٥ كلم ، وبالضفة الأخرى لوادي جدي .

يضم معسكر جيميلاي تجمع سكاني واسع ، يحيط به سور طوله أكثر من ٢٠٠٠ م .

أما المخطط العام للمدينة فيضم الطرق ، المباني السكانية ، سور المدينة ، أبراج كثيرة ، البوابات ، المسرح ، وعدد كبير من المعابد.وتقع المدينة على طريقين ،أحدهما يتجه نحو الدوسن (على مسافة ٥٠ كلم غربا)،والطريق الآخر هو الموازي لوادي جدي .

---

[٢٤] - جيملاي (Gemellae) : معسكر روماني ، يقع جنوب غربي بسكرة بنحو ٤٠ كلم ، و٥ كلم جنوب غربي واحة مليلي ، في ناحية أولال .

[25] - Jean Baradez , Op.Cit, pp. 93- 100

يحتوي معسكر جيميلاي على حماية مضاعفة ، تتمثل في تحصينات واسعة من جهة وسور يبلغ عرضه ٣ م من جهة أخرى ، وأربعة مداخل مدعمة ، وأبراج مدمجة في السور العريض ، ولا تفتح إلا من الداخل (أنظر الشكل رقم ٠٢)

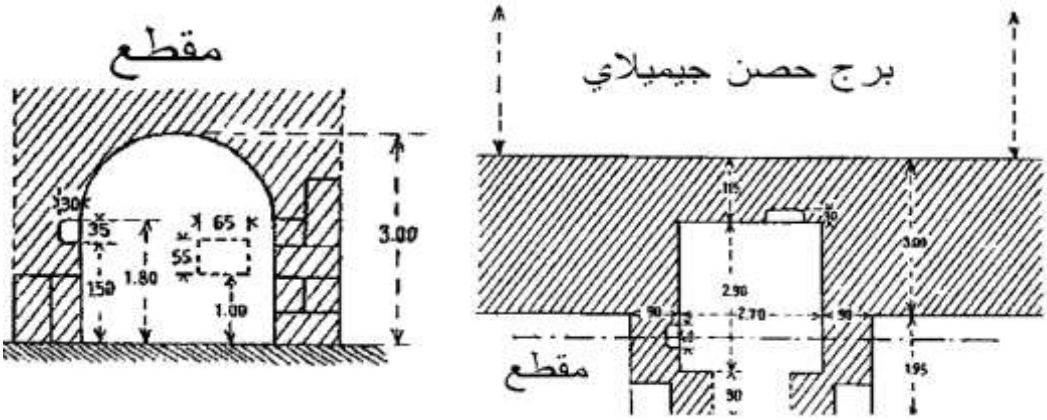

شكل رقم (٠٢) برج في سور جيميلاي + مقطع (ص ١٠٣)

وفي مركز المعسكر ، تفتح أبواب المحلات على ساحة مركزية ، مكللة بثلاثة أروقة . وفي الرواق هنالك عمودان مركزيان يحيطان بمدخل كنسية المعلمين ويحملان جدارية طولها ٣م ، وحفرت عليها كتابة تتمثل في تكريم فيلق أغست الثالث « لهدريان Hadrien» ، وبدون شك أعيد حفرها عند رجوع الفيلق إلى جيميلاي عام ٢٣٨ ، وهي تدل على قوة الإمبراطورية السادسة عشرة ، وقد يرجع تاريخها إلى ما بين ١ ينار ١٣٢ ، و١ ينار ١٣٣ .

عند باب الحاكم بالرواق يقوم تمثال «هدريان Hadrien » إلى جانب نصب الإمبراطور «جورديان Gordien » ومذابح بساحة الحكم . (انظر اللوحة رقم ٠٣) . وكتابة واضحة ، يرجع تاريخها إلى قوة هدريان العاشرة ، ممّا يمكن وضعها بين ١ يناير ١٢٦ – و١ يناير ١٢٧ (انظر اللوحة رقم ٠٤) . وفي هذه الحقبة ، قد يكون تأسّس معسكر جيميلاي الأوّلي .

ومقابلا لتمثال «هدريان » يقوم نصب «بيرتيناكس Pertinax » وحيث كتابة نصها : « Dico Pertinaci patri A la I Pannoniorum » ، تدل على فرقة ثانوية ، تابعة للفيلق في هذا الجناح . (انظر اللوحة رقم 05)

في عهد «جورديان ٣ Gordien III » قام الرومان بتحصين منطقة زراعية وغنية بالمياه ، يمتد طولها نحو ٤٥ كلم ، من دراع الرمل ، جنوب ليوة والدوسن غربا إلى شط ملغيغ شرقا ، ويتراوح عرضها بين ٢٠ و٢٥ كلم .

تلك هي منطقة الزيبان التي يجري فيها وادي جدي من الغرب نحو الشرق ، وهو ينبع من نواحي الأغواط ، ويصب في شط ملغيغ ، ويتراوح عرض سريره في منطقة الزيبان بين ٢٠٠ و٤٠٠ م ، جاعلا التربة الرملية خصبة للزراعة .
وبالإضافة إلى وادي جدي ، فهناك وادي الدوسن الذي يصب فيه ، ومنابع المياه الجوفية ، والآبار المحفورة لاستخراج المياه من باطن الأرض . كل ذلك حوّل الزاب من منطقة صحراوية جافة إلى منطقة زراعية ، غنية وهامة .
وبالتالي فخندق ساقية بنت الخراص ، والحصون والأبراج والمعسكرات ، لم تنشأ فقط كحدود عسكرية رومانية لمراقبة القوافل والقطيع ، ومنع الرحل مناوئي الرومان من التسرب نحو الشمال ، بل كان دورها أكبر من ذلك ، وهو حماية منطقة مجرى وادي جدي في الزاب ، الغنية بالمياه ، وذات الأهمية الزراعية بالنسبة للاحتلال الروماني وجيشه . (انظر اللوحة رقم ٠٦ ورقم ٠٧) [٢٦]

الدوسن

يقع الدوسن إلى ١٥ كلم شمال أولاد جلال ، و٢٥ ميل غرب جيملاي ، وهو يمثل أهم مركز مراقب بين الشمال ودراع الرمل جنوبا ، أين يقطع الخندق وادي جدي ، وبالتالي فهو جزء أساسي في خط الدفاع «Limes»
يضم الدوسن حصنًا مربعًا ، ويرجع تاريخ كتابة أبوابه إلى ٢٤٢ ، تحت قيادة «جورديان ٣ Gordien III. » . كما يضم منخفض وادي الدوسن ثلاثة حصون بارزة ، تمتد من الشرق إل الغرب على مسافة ٤,٥٠٠ م [٢٧]
أمّا حصن سادوري [٢٨]. الذي يقع على ٣٥ كلم شمال غربي الدوسن ، فهو معزول ، ولا يرافقه الخندق الذي يبقى في شماله الشرقي . ولكن أهمية سادوري تكمن في مراقبة ثلاثة منخفضات ، لأنه يقع على ارتفاع ٤٥٠ م ، في منخق بين ثلاث سلاسل جبلية ، ويتحكم في الممر بين الجهة الشرقية والناحية الغربية[٢٩]

ليمس وخندق : «Limes et fossatum»

أثبت " ستيفان جزال St.Gsell" . أن ساقية بنت الخراص ليست مجرى مائي ، وإنّما هي عبارة عن «خندق حدودي »
وأكّد " جوليان جاي Julien Guey" فرضية «خندق الحدود » ، وأشار إلى الأبراج Castella التي كانت تعلو خندق وادي جدي ، كما لاحظ غزارة الآثار المنتشرة في الشمال كانت مفقودة في الجنوب ، فاستنتج أن الخندق رسم الحدود بين الإمبراطورية والصحراء ، واستخلص أن جزء الخندق الذي رافق وادي جدي ، بلغ طوله حوالي ٦٠ كلم ، وكان أهم خندق حدودي في إفريقية .

---

[26] - Jean Baradez , Op.Cit, pp.100-106
[27] - Baradez , Ibid , p.116
[28] - Stéphane Gsell , Op.Cit, feuille 48 / N 01 .
[29] - Jean Baradez , Op.Cit, pp.119-120

إذا فالخندق والحدود يمثلان شيئا واحدا .
أما الليمس ، فبين "كانيات ، وجزال R.Cagnat et St.Gsell " أنه لم يكن خطاً ، بل هو منطقة عميقة، أو شريط عريض ، لا يحتوي فقط على العناصر الدفاعية ، وإنما يضم أيضا شبكة من طرق المواصلات المستقيمة .
وبهذا يبلغ أقصى عرض الشريط ٥ كلم ، يحده شمالا وادي جدي ، وجنوبا الساقية . ولكن "جاي Guey" لاحظ ليمسين ، أحدهما هو ليمس الضفة الجنوبية لوادي جدي ، والآخر هو ليمس الساقية ، وهذا الأخير يمثل خط المقاومة ، وهو أكثر عمقا حيث يضم معسكر جيميلاي الذي يبعد عن الساقية بـ ٣ كلم ، وهو ينتمي إلى خط دعم ليمس وادي جدي . إذاً فالحدود والخندق هما شيئًا واحدًا ، وهما خندق الحدود . وأصبح الخندق والليمس مدمجين في شريط ضيق ، بأقل من ٣ كلم عمقا . وإذا كان الخندق يمثل الحاجز الثابت والمستمر ، فإن الحصون المجاورة تزوده بالمدافعين من نقاط ارتكازها .
وفي المعنى العام ، فلفظ «ليمس Limes» يدل على الحدود المزودة بالتنظيمات العسكرية ، والحدود المحصنة . والحدود في هذا المجال ليست خطاً ، وإنما هي منطقة منظمة لحماية الأراضي التي تسيطر عليها الإمبراطورية الرومانية [٣٠]
وهناك ثلاثة عوامل أساسية تتحكم في هذا الجهاز ، وهي : الجغرافيا العسكرية ، والجغرافيا البشرية ، وحماية المنطقة المستعمرة . وهذه الاعتبارات مطبقة في :

١- **<u>ناحية «جيميلاى» كما يلي :</u>**

أ- الليمس : من جهة الشرق : خط شط ملغيغ – عين الناقة – جبل أحمر خدو .
ومن جهة الغرب : خط جبل ميمونة – سادوري – جبل موديان .

ب- المهمة : تغطية وحماية المناطق المستعمرة ، سد جميع المنافذ الآتية من الجنوب والجنوب الغربي، في اتجاه أحواض الأوراس ، ما بين شط ملغيغ وجبال الزاب .

جـ- الحدود : اقتطاع المجرى الأدنى لوادي جدي إلى برج سعادة ، استغلال المساحة التي تغطي منخفض وادي جدي ومراكز الاستعمار إلى حوالي ٧ كلم جنوب دراع الرمل والدوسن وجبل موديان .

د- خط المراقبة : تغطية فعالة ، ومراقبة محطات الماء لوادي تل ومنطقة أولاد جلال .

هـ- محور الطريق الرئيسي للناحية : لمبيز – جيميلاي ،
محور ثانوي أساسي : طريق منخفض وادي الأبيض على تهوذا [٣١]، ومن جيميلاي إلى برج سعادة

طريق منخفض وادي عبدي – جمورة – بسكرة – جيميلاي

---

30 - Baradez , Ibid , pp.131-134
31 - Stéphane Gsell , Op.Cit, feuille 49 / N 01 .

طريق طولقة – الدوسن وطولقة – سادوري .
و - طريق الحدود العرضي : برج حجاجة – أوماش – جيميلاي – الدوسن – سادوري
ز- مركز قيادة الناحية : جيميلاي (Gemellae)
ح - مركز قيادة الناحية الفرعية شرقا : تهوذا (Thabudeos)
د - مركز قيادة الناحية الفرعية غربا : الدوسن (Doucen) [٣٢]
(أنظر الخريطة رقم ٠٣)

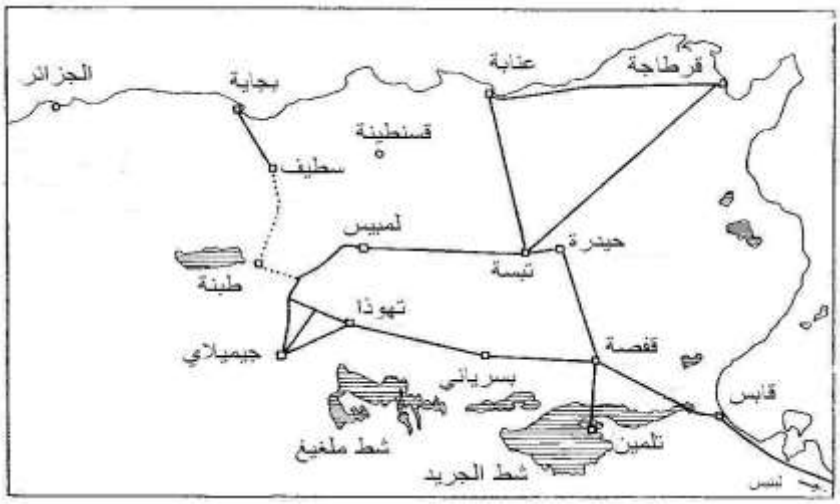

خريطة رقم (٠٣) خريطة طرق الإمبراطورية ، تبرز الحماية العسكرية في ليمس : قابس-قفصة-بادس-تهوذا-جيميلاي (ص ١٥٢)

٢- <u>ناحية باديس</u>

أ- ليمس : من جهة الشرق : خط تاجر (Tadjer) – مدياس (Ad Medias) – واد بودوكران

من جهة الغرب : خط شط ملغيغ – عين الناقة – جبل أحمر خدو

ب- المهمة : تغطية وحماية المناطق المستعمرة ، سد جميع منافذ الاجتياح من الجنوب في اتجاه خنشلة ونمامشة الأوراس الشرقي .

ج - الحدود : جنوب جندل – بادس – وادي العرب – وادي الزريبة – وادي جدي .

د - خط مراقبة : بالتنسيق مع تاجر – ناحية الجبال – شمال شط مروانة – وناحية جيميلاي من أجل تغطية فعالة لجميع آبار الماء وجنوب شط ملغيغ . ومراقبة المسالك حول شط ملغيغ من جهة الشرق والغرب ، وأيضا المسلكين المنحنيين : عين الناقة – الفيض – عقلة البعجة ، والمسلك المار بين شط مروانة وشط ملغيغ .

[32]- Jean Baradez , Op.Cit, p148

هـ- محور الطريق الرئيسي لناحية : خنشلة – بادس – الفيّض ، وخنشلة – قنطس – مدياس .
محاور ثانوية أساسية : بادس – عقلة البعجة – وبادس – الحوش .
و - طريق الحدود العرضي : جندل – بادس – زريبة الواد – تنومة الكبيرة – تنومة الصغيرة .
طريق عرضي وسطي : مدياس – زريبة الواد .
ز - مركز قيادة الناحية : بادس . [٣٣]

ميسارفيلتا « Mesarfelta» (لوطاية)

تقع لوطاية على بعد ٢٤ كلم شمال مدينة بسكرة ، و٣١ كلم جنوب مدينة القنطرة ، أما موقع ميسارفيلتا فأظهرته الصور الجوية على ٢ كلم شمال مدينة لوطاية ، وبالضفة الشرقية لوادي القنطرة .
في شمال المدينة تمتد آثار هامة للبنايات العسكرية على مساحة قدرها نحو ٧٥ على ٦٠ م ، وتهيمن على كامل المدينة القديمة . وتنقسم هذه البنايات العسكرية إلى حصنين متوازين .
وفي أسفل المدينة ، تظهر المنازل على يمين ويسار الطريق القديم . كما يوجد عدد كبير من معاصر الزيت ، ومنصات واسعة لاستخلاص الزيت . ويظهر السور الذي يحيط بالمدينة مشرفا على وادي القنطرة. وترتفع قصبة المدينة على ربوة في شمالها ، وعلى ربوة أخرى في جنوبها ترتفع بناية عسكرية مربعة يبلغ ضلعها ٦٠ م ، ويحتمل أنها كانت مخصصة لمراقبة خروج وادي القنطرة إلى السهل .
وأخيرا في جنوب المدينة ، يستكمل الدفاع حصنان صغيران مربعان يبلغ طول ضلعها بين ٢٠ و٢٥ م، وأكثر الحصون عمقا في اتجاه الجنوب ، يقع في التواء خندق . (أنظر اللوحة رقم ٠٨)

كانت « ميسارفيلتا » مركزا عسكريا ، تأسست بقربه مدينة تجارية ، ما لبثت أن أصبحت مركزا للتبادل مع الجنوب ، وعاصمة لسهل لوطاية الزراعي . [٣٤]
صارت « ميسارفيلتا » مدينة تعج بالتجار والفلاحين ، ملتفين حول طريق إمبراطوري كبير في اتجاه الجنوب ، وعلى تخوم الجبل ، وسهل مسقي غني [٣٥]

حصون عسكرية رومانية في شمال بسكرة

من أهمها :

أ- حصن جبل الملح (Le Castrum de la Montagne de sel)

[33] - Jean Baradez , Op.Cit, pp.147-148
[34] - Jean Baradez , Op.Cit, pp.258-260
[35] - Baradez , Ibid , p.263

هو الأهم والأبعد شمالا من بين عشرة حصون تقع في منخفض وادي القنطرة ، ثم وادي بسكرة (وهو وادي سبع مقاطع) .
يقع المعسكر على السفح الجنوبي الشرقي لجبل الملح ، على مسافة ١ كلم شمال شرقي لوطاية ، ويشرف على منطقة مفتوحة ، حيث يمر بجانبه وعلى بعد ٢٠٠ م الطريق الكبير نحو الجنوب ، ويصله منه فرع بطول ٦٠٠ م . ويمر بالقرب منه الطريق الشمالي الشرقي : بين لوطاية – جمورة – منعة – منخفض وادي عبدي . فيشرف الحصن على كامل السهل إلى غاية جبل بوغزال ، وجبل ملاقة ، كما يراقب مفترق طرق مهم للاتصالات .
بني المعسكر على شكل مستطيل ، يبلغ طول سوره ١٢٥ م ، وعرضه ٨١ م ، ويكتنف بابه الجنوبي الغربي برجان . ويضم السور برجا في كل ٢٠ م ، أما القلعة فهي مستطيلة . يبلـغ عرضها ٢٢ م . وطولها ٣٠ م، ويكون هذا الحصن قد خصص لفرقة عسكرية [٣٦]

ب- <u>حصون صغيرة بين لوطاية وبسكرة</u> : أظهرت الصور الجوية خراب لعديد من الحصون الصغيرة ، تنتشر بين لوطاية وبسكرة ، لا سيما على ضفتي وادي بسكرة المنحدر من وادي القنطرة ، ووادي ملاح المنحدر من جبل الملح ، وحول طريق الجنوب الرئيسي ، بين لوطاية وبسكرة (de Mesarfelta à Vescera) ، وكذلك الطرق الفرعية . ورغم اختلاف هذه الحصون الصغيرة في المقاسات والأبعاد والمظهر ، إلا أن جميعها لها هدف واحد وهو دفاعي ، ومراقبة حركة التنقلات والهجومات من الجنوب نحو الشمال .[٣٧]

جـ - <u>حصن التلاقي</u> : (Le Castrum du Confluent)

يقع الحصن في المنخنق الجبلي الذي يفتح على منخفض بسكرة ، وأين يصب وادي البرانيس في وادي بسكرة ، وحيث يقطع طريق البرانيس – جيميلاي منتصف طريق ميسارفيلتا (لوطاية) – تهوذا البالغ طوله ٤٠ كلم ، وهو الطريق المتجه من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي . (أنظر الخريطة رقم ٠٤)

[36] - Jean Baradez , Op.Cit, pp.264-265
[37] - Baradez , Ibid , pp.266-270

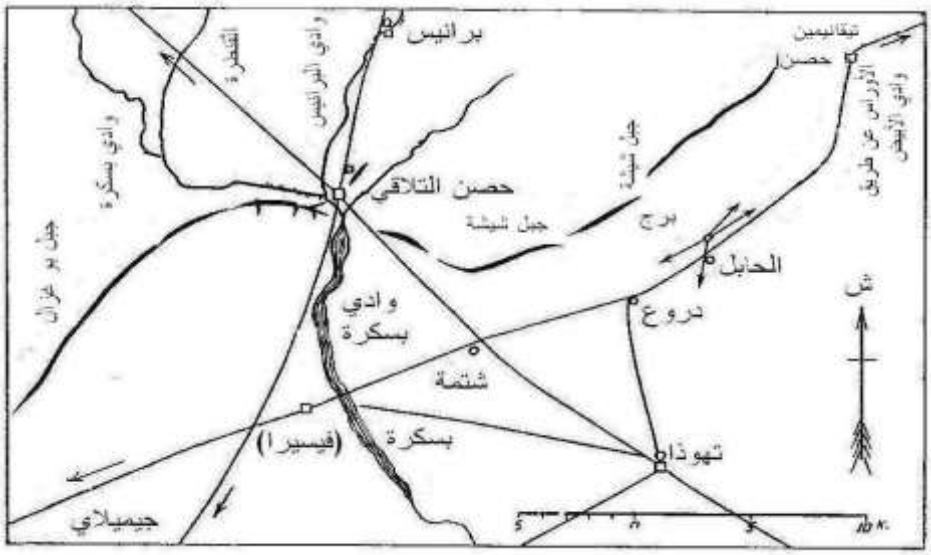

خريطة رقم (٠٤) شبكة الطرق بشرق وشمال شرق بسكرة (ص ٢٧٢)

بني المعسكر في مركز يهيمن على المنخفضات الجنوبية الواسعة ، ويتحكم في تقاطع المسالك بين الشمال والجنوب ، وهو ذو شكل مستطيل ، يبلغ طوله ١٠٥ م ، وعرضه ٧٥ م ، ويبلغ سمك جدرانه المدعمة بالأبراج ٣ م . ويحيط بسور المعسكر ، وادي مختلف العرض والعمق بين جهة وأخرى .[٣٨] (أنظر اللوحة رقم ٠٩)

د - البرانيس :

تقع البرانيس على بعد ١٢ كلم شمالي بسكرة ، وهي إلى شرق من وادي ملاح . أما الموقع الروماني فيها فيوجد على مسافة ١٢٠٠ م جنوبي المدينة الحديثة ، وعلى الضفة اليسرى للوادي . وتظهر في هذا الموقع بقايا حصن صغير (القصر الأحمر) ، مربع الشكل ، يبلغ ضلعه ١٢ م ، وهو مخصص لمراقبة الطريق بين حصن الثلاقي وجمورة ، وطريق البرانيس تهوذا .

كما تلاحظ آثار تجمع سكاني،يحيط به سور يبلغ سمكه ١ م ، وطول ضلعه ٢٠٠ م [٣٩]

هـ - جمورة :

تقع جمورة على بعد ١٤ كلم شمالي البرانيس ، و ٢٦ شمالي بسكرة ، وتحتل المدينة الرومانية المساحة الواقعة بين وادي جمورة والواحة . لقد أُختير الموقع بعناية ودقة ،

[38] - Jean Baradez , Op.Cit, pp.271-276
[39] - Baradez , Ibid , pp.276-277

فهو يتوفر على الماء ، والهواء، والوضعية المهيمنة ، وزراعة الحبوب الواسعة ، وبدون شك الحدائق وأشجار الزيتون المروية بينابيع النخيل .
وتركت المدينة بقايا كثيرة منها : جدران ، وحجارة مصقولة ، وعدد كبير من معاصر الزيت ، وطريق ، وبقايا حصن صغير (دار الرومان) . وتمتد مساحة مدينة جمورة القديمة على ٤٠٠ م طولا و٣٠٠م عرضا .[٤٠]

معسكر تهوذا :

يوجد موقع تهوذا إلى الشمال من مدينة سيدي عقبة ، التي تبعد بمسافة ١٧ كلم شرقي مدينة بسكرة .
تنقسم تهوذا إلى قسمين ، أحدهما في الشمال ، يضم مباني المدينة القديمة ، والآخر في الجنوب ، يضم حصنًا ذا شكل مستطيل منحرف ، تزيد أكبر واجهته عن ١٠٠ م .
ويتوسط هذه الواجهة ، مدخل الحصن الرئيسي ، والذي ينتهي إليه طريق «جيميلاي» .
وما بين الحصن والمدينة يمر الطريق الرابط بين ميسارفيلتا (Mesarfelta) في الشمال الغربي وباديس في الجنوب الشرقي . ومن الشمال يأتي طريق وادي الأبيض بين منخنقات جبال الأوراس . (أنظر اللوحة رقم ١٠)
في بلدة تهوذا ، توجد الصخور الضخمة والأعمدة ، شاهدة على تهوذا القديمة ، المغطاة بمباني القرية الحديثة . (أنظر اللوحة رقم ١١)
وفي جنوب البلدة ، توجد بئر عتيقة ، يبلغ عمقها ٤٦ م ، وبالقرب منها ، وُجدت قطعتان من كتابة بيزنطية . (أنظر اللوحة رقم ١٢ ورقم ١٣)
أما حصن تهوذا ، فيبلغ طوله ١١٨ م ، وعرضه ١٠٠ م ، وعمقه ٦٥ م ، ويبلغ عرض جدرانه الخارجية ١٩٠ م ، وتحتل أركانه الأربعة أبراج مربعة ، يبلغ طول ضلعها الخارجي ٥،٥٠ م ، وكل برج تتوسطه حجرة مربعة ، يبلغ طول ضلعها ٣،٣٠ م ،ويدخل إليها من زاوية المعسكر ، بواسطة ممرّ مائل.(أنظر الشكل رقم ٠٣)

[40] - Baradez , Ibid , pp.277-278

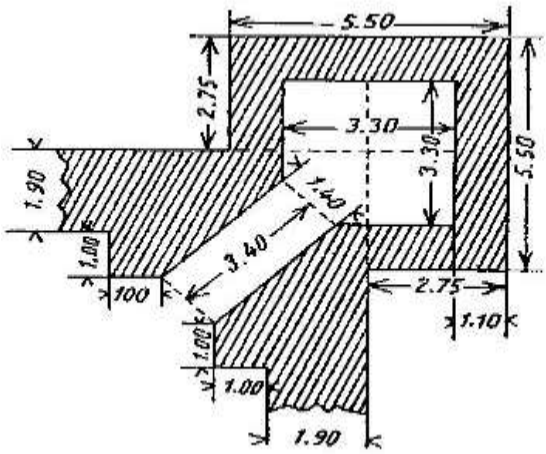

شكل رقم (٠٣) مقطع أفقي للبرج الشمالي الشرقي في تهوذا (ص٢٨٢)

ويحتمل أن الباب الرئيسي للمعسكر كان يكتنفه برجان بينهما ٣،٥ م ، ويدفعان بالمدخل إلى الخارج بنحو ٤ م .

ولكن بقايا الجدران داخل الحصن لا توضح مختلف المباني ، ولا تحددها . (أنظر اللوحة رقم ١٤ ورقم ١٥)

وبالإضافة إلى ذلك ، هناك حصون أخرى تقع بعيدا إلى الشمال بين جبال الأوراس

لوحة رقم (٠١) جدارية تدل على الاحتلال العسكري لوادي قنطرة في القرن الثاني (ص 16-B)

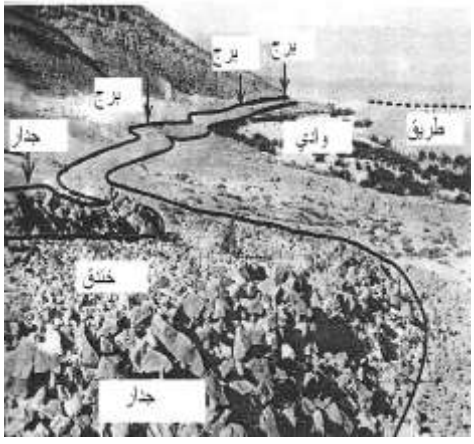

لوحة رقم (٠٢) منطقة القنطرة تبين الطريق ووادي وأبراج وخندق وجدار (ص 18-B)

لوحة رقم (٣) أنصاب (ص 102A)

لوحة رقم (٠٤) كتابة محفورة على جدارية (ص 102B)

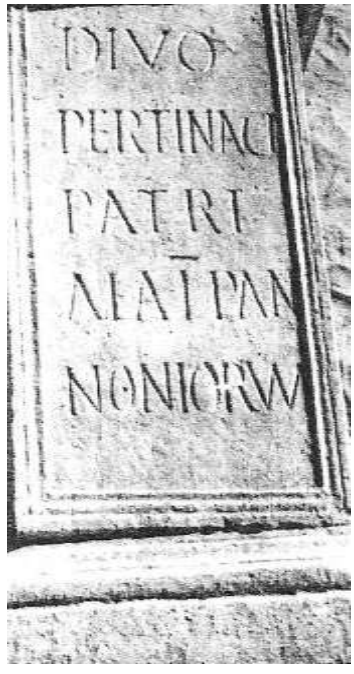

لوحة رقم (٠٥) كتابة تدل على فرقة ثانوي تابعة لفيلق «Pertinex» (ص 117A)

لوحة رقم (٠٦) ساحة الحكم في جيميلاي (ص 107A)

لوحة رقم (٠٧) الحفريات في جيميلاي (ص 107C)

لوحة رقم (٠٨) آثار ميسارفيلتا المندثرة (ص 261B)

لوحة رقم (٠٩) بقايا معسكر التلاقي (ص 273C)

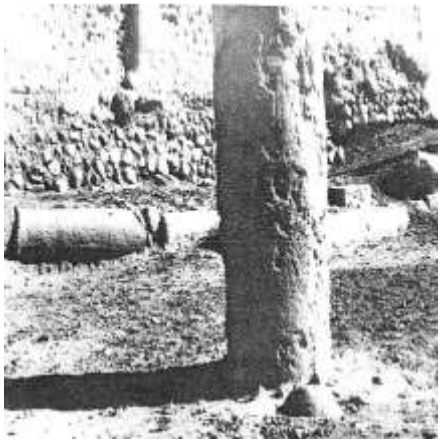

لوحة رقم (١١) بقايا معسكر تهوذا (ص 279A)

لوحة رقم (١٠) معسكر تهوذا عليه بنايات حديثة ويظهر اتجاه الطرق (ص 272A)

لوحة رقم (١٢-١٣) قطع كتابة بيزنطية (ص 280BC)

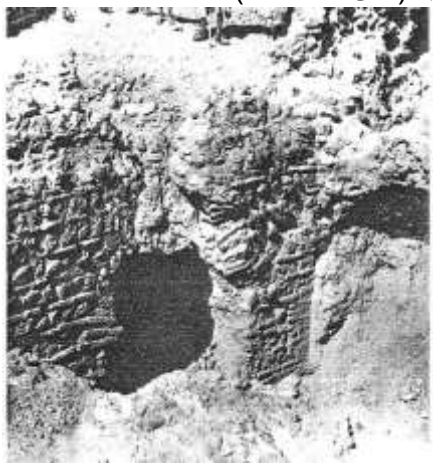

لوحة رقم (١٥) بقايا حصن تهوذا (ص 286B)

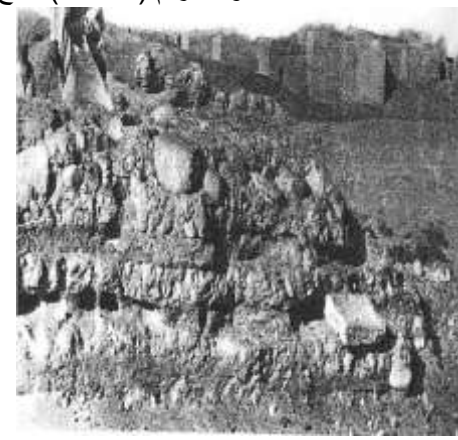

لوحة رقم (١٤) خراب حصن تهوذا (ص 285A)